

تفسير البحر المحيط

. @ 431 @

تحية بينهم ضرب وجيع .

أي : القائم لهم مقام الخبر السار هو العذاب الأليم وقيل : هو على معنى تأثر البشرية من ذلك ، فلم يؤخذ فيه قيد السرور ، بل لوحظ معنى الاشتقاق . .

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } . تقدم تفسير هذه الجملة عند قوله ومن { يَرَوْا تَدْدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ } فأغنى عن إعادته .

وقرأ ابن عباس ، وأبو السمال : حبطت ، بفتح الباء وهي لغة . .

{ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } مجيء الجمع هنا أحسن من مجيء الأفراد ، لأنه رأس آية ، ولأنه بإزاء من للمؤمنين من الشفعاء الذين هم الملائكة والأنبياء وصالحو المؤمنين ، أي : ليس لهم كأمثال هؤلاء ، والمعنى : بانتفاء الناصرين انتفاء ما يترتب على النصر من المنافع والفوائد ، وإذا انتفت من جمع فانتفاؤها من واحد أولى ، وإذا كان جمع لا ينصر فأحرى أن لا ينصر واحد ، ولما تقدم ذكر معصيتهم بثلاثة أوصاف ناسب أن يكون جزاؤهم بثلاثة ، ليقابل كل وصف بمناسبة ، ولما كان الكفر بآيات الله أعظم ، كان التبشير بالعذاب الأليم أعظم ، وقابل قتل الأنبياء بحبوط العمل في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا بالقتل والسبي وأخذ المال والاسترقاق ، وفي الآخرة بالعقاب الدائم ، وقابل قتل الآمرين بالقسط ، بانتفاء الناصرين عنهم إذا حل بهم العذاب ، كما لم يكن للآمرين بالقسط من ينصرهم حين حل بهم قتل المعتدين ، كذلك المعتدون لا ناصر لهم إذا حل بهم العذاب . .

وفي قوله : أولئك ، إشارة إلى من تقدم موصوفاً بتلك الأوصاف الذميمة ، وأخبر عنه : بالذين ، إذ هو أبلغ من الخبر بالفعل ، ولأن فيه نوع انحصار ، ولأن جعل الفعل صلة يدل على كونها معلومة للسامع ، معهوده عنده ، فإذا أخبر بالموصول عن اسم استفاد المخاطب أن ذلك الفعل المعهود المعلوم عنده المعهود هو منسوب للمخبر عنه بالموصول ، بخلاف الإخبار بالفعل ، فإنك تخبر المخاطب بصدوده عن من أخبر به عنه ، ولا يكون ذلك الفعل معلوماً عنده ، فإن كان معلوماً عنده جعلته صلة ، وأخبرت بالموصول عن الأسم . .

قيل وجمعت هذه الآيات ضرباً من الفصاحة والبلاغة . أحدهما : التقديم والتأخير في : { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } قال ابن عباس التقدير : شهد الله أن الدين عند الله الإسلام ، أنه لا إله إلا هو ، ولذلك قرأ إنه ، بالكسر : وأن الدين ، بالفتح . .

وأطلق اسم السبب على المسبب في قوله { مِّنْ * بَعْدَ مَا * جَاءَهُمُ الْعِلْمُ } عبر
بالعلم عن التوراة والإنجيل أو النبي صلى الله عليه وسلم) ، على الخلاف الذي سبق . .
وإسناد الفعل إلى غير فاعله في : { حَيِّطَتْ أَعْمَالُهُمْ } وأصحاب النار